كتابك

(٤٢)

د. محمد نور الدين عبد المنعم

اللغة الفارسية

دار المعارف

هـذا الكتاب

اللغة الفارسية لغة إسلامية . . ويسميها علماء اللغات «فرنسية الشرق» لأنها تنتشر فى الشرق انتشار الفرنسية فى الغرب . ولأن لها من الأهمية بعد العربية ما للفرنسية من حيث الأدب والثقافة . .

وهذه دراسة علمية موجزة مبسطة فى نشأة هذه اللغة وتطورها وآدابها وتفرعها وتوطنها . . وتأثير اللغة العربية فيها وتأثيرها فى العربية برغم انتماء كل لغة منهما إلى جنس مختلف . .

١٠

كتابك ٤٢

رئيس التحرير أنيس منصور

د. محمد نور الدين عبد المنعم

اللغة الفارسية

دار المعارف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

هذه محاولة متواضعة لبيان المعالم البارزة فى تاريخ اللغة الفارسية خاصة فى مرحلة النشأة والتكوين ، عندما تأثرت باللغة العربية وأثرت فيها .

وبرغم أنها دراسة موجزة وبأسلوب علمى مبسط إلا أننى آمل أن يجد القارئ الكريم ما ينشده من الفكرة الشاملة حول هذا الموضوع .

والله ولى التوفيق .

د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

الفصل الأول

نشأة اللغة الفارسية

اللغة الفارسية لغة إسلامية جميلة ذات أدب وفير ، وهى تعد ثانية لغات العالم الإسلامى بعد اللغة العربية . ويسميها علماء اللغات « فرنسية الشرق » ذلك لأنها منتشرة فى الشرق انتشار الفرنسية فى الغرب ، وأن لها من الأهمية بعد العربية ما للفرنسية من حيث الأدب والثقافة .

وتنتشر الفارسية فى ربوع القارة الآسيوية فى المنطقة الواقعة بين الصين شرقاً والعراق غرباً ، وتكتب بالأبجدية العربية ، كما أنها تحتوى على نسبة كبيرة من الألفاظ العربية ، مما يجعلها سهلة التعلم لكل عربى .

وللفارسية تأثير كبير فى بعض اللغات الإسلامية الأخرى كالتركية ، والأوردية المنتشرة فى باكستان وجهات أخرى من شبه القارة الهندية ، فقد أخذت هاتان اللغتان كثيراً من المفردات والمصطلحات الفارسية ، كما قلد أدباؤهما كثيراً من الإنتاج الأدبى الفارسى ، وساروا على نهج الفرس فيما كتبوا أو نظموا غالباً .

واللغة الفارسية لغة آرية من مجموعة اللغات الهندية الأوربية ، أى تلك اللغات الواسعة الانتشار فى الهند وأوربا . وتسميتها بالفارسية نسبة إلى إقليم

فارس وهو اسم للإقليم الجنوبى من إيران ، ولأن أول مؤسس للإمبراطورية الإيرانية الأولى المعروفة بالإمبراطورية الهخامنشية أو الأكمينية وهو الملك قوروش قد نشأ فى إقليم فارس ، لذا غلب إسم ذلك الإقليم – من باب إطلاق الجزء على الكل – على البلاد التى سكنها الإيرانيون وعلى اللغة التى يتكلمون بها خاصة ، فقيل بلاد فارس واللغة الفارسية .

وقد اعتاد الباحثون عند الحديث عن اللغة الفارسية وتطورها على تقسيم تاريخ اللغات الإيرانية إلى ثلاث مراحل ، هى :

١ – المرحلة الأولى : وهى مرحلة اللغات الفارسية القديمة ، وتبدأ منذ تفرعت اللغات الإيرانية عن المجموعة الآرية ، أى منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد تقريباً وحتى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد . وأهم اللغات التى سادت فى هذه الفترة اللغة الفارسية القديمة واللغة الأفستية ، والفارسية القديمة هى التى دون بها الملوك الهخا منشيون أخبار حروبهم وانتصاراتهم بخط مسمارى منذ قوروش الكبير (٥٥٩ – ٥٥٢ ق . م) وحتى أردشير الثالث (٣٥٩ – ٣٣٨ ق . م) ، ومن أهم نقوشها تلك التى عثر عليها فى بيستون وتخت جمشيد .

أما الأفستية فهى اللغة التى كتب بها الكتاب الدينى لزرادشت نبى الفرس القدماء ، وهو الكتاب الذى يعرف بالأفستا أو الأبستاق ،

وتكتب هذه اللغة بخط أفستائى من اليمين إلى اليسار ، ويسمى هذا الخط باسم (دين دبيره) .

٢ – المرحلة الثانية : وهى مرحلة اللغات الفارسية الوسطى ، وتبدأ من القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد . وأهم هذه اللغات : البهلوية الأشكانية ، والبهلوية الساسانية ، والصغدية ، والخوارزمية .

٣ – المرحلة الثالثة : وهى مرحلة اللغات الفارسية الحديثة ، وتبدأ من القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد ، وتستمر حتى عصرنا هذا . وأهم هذه اللغات اللغة الدرية أو الفارسية الحديثة التى نشأت متأثرة باللغة العربية ، واستعملت الأبجدية العربية .

ويهمنا هنا تلك اللغة التى ظهرت بعد دخول الإسلام فى إيران ، والتى أصبحت منذ القرن الثالث الهجرى – وحتى الآن – اللغة الرسمية والأدبية لهذه البلاد ، هذه اللغة هى التى يطلق عليها اسم اللغة الدرية أو الحديثة أو الفارسية الإسلامية . وقد نشأت أول الأمر فى شرق إيران (خراسان) ، ثم انتشرت بعد ذلك فى كل أنحاء إيران .

ولا نستطيع أن نقول إن هذه اللغة نشأت من فراغ أو ظهرت فجأة ، فالفارسية الحديثة امتداد للفارسية الوسطى من حيث قواعد اللغة ، إذ ليس بينهما اختلاف يذكر . أما من حيث الكلمات وكيفية الأصوات فيمكن أن نعدهما متمايزتين .

أخذت الفارسية الدرية أو الحديثة كلمات كثيرة من اللغات الإيرانية

وغير الإيرانية ، إلا أن اللغة العربية كانت أهم اللغات التى أخذت عنها الفارسية . وهذا برغم أن أصل اللغتين مختلف ، فالفارسية كما قلنا من اللغات الهندية الأوربية ، والعربية لغة سامية . وقد لعبت الفارسية الإسلامية دوراً هامًّا فى ازدهار الأدب الفارسى ، وذلك بعد اشتداد الحركة القومية منذ أواخر القرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجرى بقيام الدويلات الفارسية المستقلة ، فأخذ الفرس يحاولون جاهدين الرقى بلغتهم الفارسية وجعلها لغة أدبية . وأخذ الحكام المستقلون يشجعون على ذلك . وأقدم النماذج التى بقيت لنا منها نجدها فى أشعار حنظلة البادغيسى (م ٢٢٠ هـ) ومحمد بن وصيف السجزى والشهيد والرودكى (م ٣٢٩ هـ) .

وتحتل اللغة الفارسية الحديثة منزلة رفيعة بين اللغات الحية فى عصرنا الحاضر ، إذ يتكلم ويكتب بها ويعتز بتراثها أكثر من خمسين مليوناً من سكان دولتين إسلاميتين هما إيران وأفغانستان، كذلك تسود الفارسية فى منطقة تاجيكستان التابعة لحكومة الاتحاد السوفييتى ، غيرأنها تختلف عن فارسية إيران من ناحية التخاطب والمحاورة ، وبما أن اللغة الأدبية فى تاجيكستان هى نفسها لغة التخاطب ، لذلك فقد بعدت بالتدريج عن الفارسية الأدبية المستعملة فى أفغانستان وإيران . وليس هناك تفاوت كبير بين فارسية إيران وفارسية أفغانستان إلا فى لهجة التخاطب والمحاورة ، ولكنهما متفقتان بالنسبة للكتابة والأدب .

وقد تأثرت فارسية أفغانستان باللغة الثانية الموجودة هناك وهى اللغة البشتوية ، ذلك لأنه متى اجتمعت لغتان فى بلد واحد فلا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى . كما تأثرت أيضاً باللغة الأوردية وباللغة الروسية ، وذلك لقرب أفغانستان من باكستان وروسيا من ناحية ، ولوجود الصلات والعلاقات التجارية والثقافية بين شعبها والشعوب المجاورة من ناحية أخرى . وعلى هذا انتقلت بعض المفردات والمصطلحات من اللغات : البشتوية والأوردية والروسية إلى فارسية أفغانستان . ومازال الأفغانيون يستعملون اسم اللغة الدرية ولا يسمونها بالفارسية مطلقاً ، وذلك حفاظاً على الاسم القديم لهذه اللغة .

كما تميزت الفارسية فى إيران بدخول كثير من المفردات والمصطلحات الأوربية خاصة المفردات الفرنسية ، وذلك نظراً لانفتاح إيران على الغرب أكثر من أفغانستان منذ وقت طويل ، وسفر كثير من أبنائها للدراسة فى البلاد الأوربية المختلفة . ولا نستطيع أن نقول إن ماحدث بالنسبة للفارسية فى إيران وأفغانستان يتشابه مع ماهو حاصل للفارسية التاجيكية ، أى اللغة الفارسية السائدة فى تاجيكستان ، تلك اللغة التى اختير لها الخط اللاتينى أولا ، ثم الخط الروسى فيما بعد لكتابتها ، ويستعمل الخط العربى أحياناً ، إذ أن اللغة الأدبية هنا هى نفسها اللغة المتداولة فى المحاورة والتخاطب ؛ لذا فقد بعدت بالتدريج – كما قلنا – عن الفارسية الدرية ، فى حين أن الفارسية الأفغانية قد احتفظت فى

الكتابة والأدب بصورتها الأصلية .

ولأدباء الفرس إنتاج أدبى غزير باللغة الفارسية ، وقد نال الكثير من أدبائهم شهرة عالمية . ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر شاعر إيران العظيم الفردوسى (م ٤١١ هـ) الذى نظم الشاهنامة (كتاب الملوك) فى ستين ألف بيت ، تلك الملحمة الخالدة التى تحكى تاريخ إيران وأمجاد شعبها منذ أقدم العصور وحتى الفتح العربى لها . وقد ساعده فى نظم هذه الملحمة الطويلة تلك الطريقة التى اتبعها الفرس فى نظم منظوماتهم الطويلة وهى طريقة المثنوى التى حاولوا فيها التخلص من قيود القافية ، إذ أن القافية فى هذا الجنس من أجناس الشعر تكون فى جزأى البيت الواحد ، وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات ، وهو ما يسمى عند العرب بالمزدوج . ومن هؤلاء أيضاً عمر الخيام (م ٥١٧ هـ) صاحب الرباعيات التى ترجمت إلى معظم لغات العالم تقريباً ، والذى قام العلماء والباحثون بدراسات كثيرة حول شعره وفلسفته ، حتى قيل إن مجرد جمع ما كتب عن عمر الخيام فى اللغات المختلفة يقتضى من المرء أن يتفرغ لذلك طوال حياته ، وأن مجموع المؤلفات التى كتبت عنه تكفى بلاشك لإنشاء مكتبة عامرة حافلة .

ومن أشهر شعراء الفرس أيضاً سعدى الشيرازى (٥٨٠ هـ — ٦٩١ هـ) وحافظ الشيرازى (م ٧٩١) ، وأولهما هو شاعر الأخلاق العظيم ، الذى دون كثيراً من المثل والمبادئ الأخلاقية فى كتابيه

العظيمين : البوستان وهو منظوم ، والكَلستان (الروضة) وهو كتاب نثرى يمتزج بالشعر . وثانيهما هو صاحب الغزليات الشهيرة التى مزج فيها معانى الحب بمعانى التصوف .

ولا ننسى أن نقول إن التصوف قد ظفر بكثير من الكتب والمنظومات فى هذه اللغة ، وخير مثال على ذلك ما خلفه شاعر التصوف العظيم جلال الدين الرومى (٦٠٤ – ٦٧٢ هـ) خاصة فى منظومتيه الخالدتين : المثنوى والديوان . وتعتبر أشعار هاتين المنظومتين من أرقى الأشعار الفارسية ، حتى أطلق الإيرانيون على المثنوى اسم (القرآن البهلوى) أى القرآن الفارسى .

ونستطيع تقسيم اللغات واللهجات الإيرانية المستعملة اليوم إلى مجموعتين رئيسيتين : المجموعة الشرقية وأهم لغاتها الأسيتية والبشتوية . أما الأولى فهى التى تنتشر فى ناحية من نواحى القوقاز الجبلية . وهى من اللهجات التى احتفظت بكثير من خصائص اللغات الإيرانية القديمة حتى الآن . وتشتمل آدابها على قصص وأساطير تم تسجيلها وتدوينها منذ القرن الماضى . وتكتب الأسيتية اليوم بالخط الروسى ، ويزداد أخذها واقتباسها من الروسية يوماً بعد يوم . والثانية وهى البشتوية ، وهى اللغة المحلية لشرق أفغانستان ، ولمجموعة من سكان الحدود الشمالية الغربية للهند . وبرغم أن هذه اللغة – التى يزداد الاهتمام بها يوماً بعد يوم – قد تأثرت كثيراً بالفارسية والعربية ، إلا أنها مازالت تحتفظ حتى اليوم بكثير من خصائص

اللغات الإيرانية القديمة . وللبشتوية لهجات مختلفة كالوزيرية والأفريدية والبيشاورية والفندهارية والقلزية وغيرها .

والمجموعة الثانية وهى المجموعة الغربية وأهم لغاتها البلوشية والكردية ، فأما الأولى فهى التى تنتشر فى قسم من بلوشستان ، وكذلك فى بعض نواحى تركمانستان الروسية . وللغة البلوشية لهجات مختلفة من أهمها : البلوشية الغربية والبلوشية الشرقية . أما الثانية وهى الكردية ، فهذا الاسم يطلق على مجموعة اللغات واللهجات السائدة بين الأكراد الذين يقيمون فى تركيا وإيران والعراق . ويجب اعتبار بعضها لغات مستقلة ، ذلك لأن الاختلاف بينها وبين الكردية الكرمانجية كبير لدرجة أنه لايمكن ضمها إلى الكردية . ومن هذه اللغات لغتان مستقلتان هما لغة « زازا » أو « الدملى » وهى الخاصة بمناطق الأكراد الغربية ، والثانية لغة « جورانى » الشائعة فى مناطق الأكراد الجنوبية ، ولها هى نفسها لهجات مختلفة . وللغة الكردية التى تسمى بالكرمانجية لهجات متعددة ، منها : المكرية والسليمانية والكرمانشاهية والبايزيدية ، وغير ذلك . وبرغم أن الكردية لغة مستقلة أساساً ، إلا أنها قد تأثرت باللغات المحيطة بها من فارسية وعربية وتركية وأرمينية ، وأكثر مفرداتها مقتبسة من هذه اللغات .

* * *

الفصل الثانى

تأثير اللغة العربية فى اللغة الفارسية

أخذت اللغة العربية تنتشر بين سكان إيران بعد الفتح الإسلامى ، وأصبح الفرس ينظرون إليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن والدين الجديد ، فتعمقوا فى دراستها حتى يتمكنوا من فهم دينهم وكتابهم الكريم ، مما ساعد على انتشار هذه اللغة ورواجها .

وقد ظلت اللغة العربية فى المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث تقريباً ، حيث أخذت القومية الفارسية تنهض من جديد ، وتحاول أن تحيى معها اللغة الفارسية الحديثة أو الإسلامية ، والتى اعتمدت فى كثير من كلماتها ومصطلحاتها على اللغة العربية ، كما أنها كتبت أيضاً بحروف عربية .

والواقع أن عصر النهضة الفارسية لم يقم معتمداً على اللغة الفارسية الخالصة فى حد ذاتها ، بل أخذ الكتاب والشعراء يأخذون من العربية بعض مفرداتها وعباراتها ، ويقتبسون من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال العربية ، واستخدموا فى شعرهم بحور الشعر العربى وزادوا عليها ، وغيروا فيها بعض التغيير ، واستحدثوا صوراً شعرية

جديدة فى مقدمتها المثنوى والرباعى ، وأصبح الشاعر الإيرانى بعد الإسلام لايستطيع قول الشعر بلغته الفارسية مالم تكن معرفته باللغة العربية كاملة ، حافظاً لأشعار العرب مطالعاً لأقوالهم .

ونتيجة لهذا التأثر بالعربية وآدابها ، فقد أصبح من غير الممكن أن يكتب الكاتب أو ينظم الشاعر شيئاً بالفارسية بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية ، وخير مثال على ذلك شاهنامة الفردوسى (انتهى الشاعر من نظمها حوالى سنة ٤٠٠ هـ) التى قصد ناظمها أن يصوغها فى أقدم العبارات والأساليب الفارسية ؛ فإن أحداً لا يستطيع القول بأنها خالية من الألفاظ العربية . وربما كان موضوع الشاهنامة الذى تناول فيه الشاعر تاريخ إيران هو الذى دعاه إلى الإقلال من استعمال الكلمات العربية ، ومحاولة جعلها منظومة فارسية خالصة . ويرى بعضهم أن الشاهنامة تحتوى على ما يقرب من ثمانمائة كلمة عربية ، وقد يقل العدد أو يكثر لدى كل باحث من الباحثين ، ولكن الحقيقة التى لا شك فيها هى وجود كثير من المفردات العربية فى هذه المنظومة التى يصل عدد أبياتها إلى ستين ألف بيت .

ويقول المستشرق إدوارد براون فى هذا الصدد : « لو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً بالفارسية بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر ، كما يتعسر على الذى يريد أن يكتب شيئاً بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل يونانى

أو لاتيني أو فرنسي . ولربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق ، ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارئ على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية » .

ومن أمثلة ذلك تلك المقالة التي كتبتها جماعة من مجوس يزد ، وكتاب « خسروان نامة » أي كتاب الملوك الذي ألفه أحد الأمراء ، وهو تاريخ مختصر للدول التي قامت في فارس قبل الإسلام ، ونشر في مدينة فيينا عام ١٨٨٠ م . ولكن هذه المؤلفات لم تلق رواجاً يذكر ، وذلك نتيجة لخلوها من الألفاظ العربية ، وصعوبة فهمها وتعقيدها .

ونرى كتّاب الفرس يشيرون إلى أهمية الاطلاع على الأدب العربي ، والاقتباس من اللغة العربية ، ومن هؤلاء النظامي العروضي السمرقندي ، الذي يقول في كتابه « جهارمقاله » أو « المقالات الأربع » (المؤلف في حدود سنة ٥٥٠ هـ) « إن على الكاتب أن يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب ، وكلمات العجم ، ومطالعة كتب السلف ، والاطلاع على صحف الخلف ، مثل : ترسل الصاحب والصابي وقابوس ، ومن دواوين العرب : ديوان المتنبي والأبيوردي والغزي » .

ويقول عنصر المعالي كيكاووس في كتابه « قابوسنامه » الذي ألفه سنة ٤٧٥ هـ ناصحاً ابنه كَيلانشاه . . وزين رسالتك بالاستعارات والأمثال والآيات القرآنية والأخبار النبوية ، وإذا كانت رسالتك بالفارسية فلا

تكتبها بالفارسية الخالصة فإنها ليست مقبولة ، وخاصة الفارسية الدرية ، إذ أنها غير معروفة » . وكذلك يعيب الشاعر منوجهرى الدامغانى (متوفى سنة ٤٣٢ هـ) على أحد الشعراء عدم خبرته ودرايته بالشعر العربى ، ويفخر بتفوقه فى هذا المجال ، إذ يقول :

إننى أحفظ كثيراً من دواوين أشعار العرب ، وأنت لا تستطيع قراءة ألاهبى بصحنك فاصبحين (١) .

وهو يشير فى البيت السابق إلى مطلع معلقة عمرو بن كلثوم :

ألاهبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية فى بداية الأمر أنها أصبحت لغة الدولة بالإضافة إلى أنها لغة الدين ، وكان على كل من يريد الوصول إلى منصب أو مكانة مرموقة فى السياسة أو العلم أن يتعلم العربية ويتقنها ، ومن هنا اهتم الفرس بتعلم هذه اللغة .

وأول بوادر التأثير العربى بعد دخول الإيرانيين فى الإسلام ، أن كثيرين منهم بدءوا يسمون أبناءهم بأسماء عربية ، كما أخذوا يلقبون أنفسهم بألقاب عربية . وظهرت العبارات العربية منذ عام ٣٢ هـ على العملات التى استعملت فى تلك البلاد ، ثم ظهرت أسماء خلفاء بنى أمية بعد ذلك على العملات الإيرانية .

---

(١) أصل البيت بالفارسية .

من بسى ديوان شعر تازيان دارم زبر تونداني خواندالا هبى بصحنك فأصبحين

ظلت اللغة العربية هى اللغة الأولى من الناحيتين الأدبية والعلمية خلال حكم الأسر الصفارية والسامانية والغزنوية . إذ نجد كثيراً من المؤلفات قد كتبت بالعربية ، وخاصة فى العصر السامانى ، ومن ذلك مثلاً كتاب « مفاتيح العلوم » لأبى عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمى . وظلت العربية لغة للرسائل والديوان فى هذه العصور المذكورة ، إلا أننا نجد بعض الرسائل فى العصر الغزنوى تكتب بالفارسية أيضاً ، وكانت هذه الرسائل تبدأ بعبارات عربية . ومعنى ذلك أن كتّاب ذلك العصر كانوا من أصحاب اللسانين ، ومن هؤلاء أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى صاحب كتاب « تاريخ اليمينى » وكتاب « لطايف الكتاب » وهما بالعربية ، وكذلك أبو الفتح البستى (متوفى بين سنتى ٤٠١ ، و٤٠٣ هـ) الذى كان ينشد الشعر بالعربية والفارسية .

وقد تأثرت كتب النثر الفارسى باللغة العربية تأثراً كبيراً ، وخاصة تلك الكتب التى ترجمت عن العربية مثل ترجمة « تاريخ الطبرى » وترجمة « تفسير الطبرى » فى القرن الرابع الهجرى . وأخذ التأثير يزداد يوماً بعد يوم ، ونلاحظ زيادة التأثير العربى بوضوح فى كتاب « تاريخ البيهقى » .

وتتحول كتابة الرسائل فيما بعد إلى اللغة الفارسية فى العصر السلجوقى على يد عميد الملك الكندرى الوزير السلجوقى ، ولكن هذا لا يمنع تأثير العربية فى كل ما يكتب بالفارسية ، فالعربية تركت بصماتها وشاركت فى

بناء هذه اللغة الجديدة ، ولم يعد من الممكن التخلص من مفرداتها وعباراتها .

وهناك من العلماء الفرس من ألف كتباً بالفارسية فقط ، وهناك أيضاً من ألف بالفارسية والعربية ، ونذكر من القسم الثانى الشيخ الرئيس أبا على بن سينا الطبيب والفيلسوف والكاتب المعروف (متوفى سنة ٤٢٨ هـ) ، وله شعر بالفارسية والعربية . ولا شك أن أشهر كتبه العربية كتابان هما : الشفاء والقانون . ومن مؤلفاته الفارسية كتاب دانشنامة علائى ، ورسالة در حقيقت وكيفية موجودات ، ومعراجنامه وغير ذلك .

نذكر أيضاً أبا حامد الغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) ، الذى يقال عنه إنه الفقيه الذى كان له الفضل الأول فى إنهاء عصر الفلسفة فى الإسلام ، وإقامة عصر التصوف الذى يعتبر أبلغ تعبير وأوضح تحديد للمذهب السنى الإسلامى . وأهم مؤلفاته العربية هو كتاب « إحياء علوم الدين » الذى اختصره بعد ذلك بالفارسية باسم « كيمياى سعادت » أو « كيمياء السعادة » . ومن كتبه العربية أيضاً « المنقذ من الضلال » و « تهافت الفلاسفة » ، وله كتاب بالفارسية باسم « نصيحة الملوك » ، كما أن من مؤلفاته الفارسية أيضاً مجموعة من الرسائل جمعت تحت اسم « فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام » والملاحظ أن مؤلفاته العربية تفضل كل ما كتبه بالفارسية .

وممن كتبوا باللغتين أيضاً أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام

النيسابورى ، وهو من علماء وشعراء إيران الكبار فى أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل السادس (متوفى سنة ٥١٧ هـ) ، ومن جملة ما ألفه بالعربية : رسالة فى الطبيعيات ، ورسالة فى الجبر والمقابلة ، ورسالة فى شرح ما يشكل من مصادرة إقليدس ، ورسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما . ومن آثاره الفارسية كتاب « نوروز نامه » و « رسالة وجودية » وهى التى كتبها لفخر الملك بن نظام الملك الوزير . وكذلك ترجمته للخطبة الغراء لأبى على بن سينا . هذا بالإضافة إلى رباعياته الفارسية التى طبقت شهرتها الآفاق .

ومن هؤلاء أيضاً نذكر نصير الدين الطوسى (متوفى سنة ٦٧٢ هـ) الفيلسوف الكبير ، صاحب الإنتاج الغزير فى الموضوعات الدينية والفلسفية والرياضية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم . وأغلب مؤلفاته بالعربية ، وأهمها كتاب « تجريد العقائد » . ومن مؤلفاته الفارسية : أخلاق ناصرى ، وبيست باب در معرفت أسطرلاب ، ورسالة سى فصل ، وزيج ايلخانى ، وتنسوق نامهٔ ايلخانى .

وهناك من الكتاب الفرس من ارتبطت شهرتهم باللغة العربية وآدابها أكثر من الفارسية ، ومن هؤلاء : الصاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥ هـ) ، وعبد القاهر الجرجانى (متوفى سنة ٤٧١ هـ) ، ومن أشهر كتبه « دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» ، وهما فى المعانى والبيان

وجار الله الزمخشرى (متوفى سنة ٥٣٨ هـ) وبديع الزمان الهمذانى (متوفى سنة ٣٩٨ هـ) .

لكن لماذا اقتصر بعض الإيرانيين على التأليف بالعربية دون الفارسية؟ يرجع هذا إلى أن العربية كانت هى اللغة الأولى من الناحية الأدبية والعلمية ، وهى لغة الثقافة عموماً ، كما أنها كانت أصلح من الفارسية فى تأدية بعض الأغراض العلمية بسبب أنها غنية بالأصول وبالمشتقات الناتجة عن هذه الأصول .

ومن المؤلفات الأدبية ما كتب باللغتين أيضاً ، ومن تلك المؤلفات كتاب «حدائق السحر فى دقائق الشعر» لرشيد الدين الوطواط (متوفى سنة ٥٧٣ هـ) ، وقد ألف كتابه بين سنتى ٥٥١و٥٦٨ هـ ، وطريقة الوطواط فى كتابه الذى يتحدث فيه عن البديع الفارسى هى أن يذكر الفن البديعى ثم يستشهد عليه بأمثلة من القرآن والحديث ، ثم بأمثلة من النثر العربى فالشعر العربى ، ويتبع ذلك بأمثلة من النثر الفارسى والشعر الفارسى . وهذا على عكس ما حدث فى كتاب «ترجمان البلاغة» الذى ألفه محمد بن عمر الرادويانى فى منتصف القرن الخامس الهجرى تقريباً ، والذى كان يعرّف الفن البديعى بالفارسية ، ويستشهد عليه بأمثلة فارسية من الشعر .

وقد جاء فى مقدمة كتاب «المعجم فى معايير أشعار العجم» المؤلف سنة ٦٣٠ هـ ، وهو كتاب فى العروض ونقد الشعر ، أن أحد الفضلاء

طلب من مؤلفه شمس قيس الرازى تأليف كتاب فى معايير أشعار العرب العجم ، فألفه بالعربية ، وكان مطولا ، إذ تحدث فيه عن العروض والقوافى فى الشعر العربى والفارسى ، فاعترض عليه بعضهم بأنه لايجوز أن يذكر فى كتاب واحد العروض والقوافى الخاصة بلغتين ، كما أنه لا يجوز الاستشهاد بأمثلة فارسية فى كتاب عربى . بالإضافة إلى أنه لن يستفيد به من لا يعرف العربية ، ولن يفهم شواهده الفارسية من لايعرف هذه اللغة . فاختصر المؤلف كتابه ، وخصصه لعروض الفارسية وقوافيها ومحسناتها ، وكتبه بالفارسية . ويبدو أنه ضم كل ما يتصل بالعربية فى كتاب آخر ، وأطلق على الأول اسم « المعجم فى معايير أشعار العجم » وأطلق على الثانى اسم « المعجم فى معايير أشعار العرب » والأول موجود بين أيدينا ، فى حين فقد الكتاب الثانى .

ويرى بعض الكتاب أن التأليف باللغة الفارسية مما يستحق الاعتذار ، ويتطلب ذكر الأسباب المقنعة للإقدام على هذا العمل . ومن ذلك ما جاء فى مقدمة كتاب « كليلة ودمنة » الذى ترجمه أبو المعالى نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الكاتب لبهرامشاه الغزنوى (سنة ٥١١ – ٥٤٨ هـ) ، من أنه نقل هذا الكتاب إلى الفارسية لأنه لم يعد للناس رغبة فى مطالعة الكتب العربية ، ولذلك ظلت تلك الحكم والمواعظ مهجورة ، فأراد المترجم أن ينقلها إلى الفارسية مزيناً إياها بالآيات والأمثال ، حتى يحيى هذا الكتاب الذى مات منذ مئات من

السنين ، وحتى لا يحرم الناس من فوائده .

ومن مظاهر تأثير اللغة العربية فى اللغة الفارسية ذكر الجمل والعبارات العربية بين العبارات الفارسية ، وخاصة جمل الدعاء . وذكر التواريخ باللغة العربية دون الفارسية . كما أخذوا يذكرون آيات من القرآن وبعض الأحاديث والأمثال العربية فى المؤلفات الفارسية .

ولم يكتف الفرس بذلك بل أخذوا يقدمون لمؤلفاتهم الفارسية بمقدمات عربية تبدأ بحمد الله ومدح الرسول وأهله ، وتختم بذكر اسم الأمير أو الحاكم الذى قدم إليه الكتاب . ونراهم يذكرون عناوين فصول بعض كتبهم باللغة العربية أيضاً .

ومن يطالع أسماء بعض الكتب الفارسية يخيل إليه أنه أمام كتب عربية ، ذلك لأن أسماءها عربية خالصة مثل : تذكرة الأولياء ، زاد المسافرين ، جامع التواريخ ، لباب الألباب ، وغير ذلك ولكنه عندما يطالع ما بها يجد أنه فارسى خالص .

ومن الفنون الشعرية التى ظهرت نتيجة التأثير العربى : الملمع والترجمة .

أما الفن الأول فهو من الفنون الشعرية التى تعتمد على اللغتين ، ويكون بنظم مصراع عربى وآخر فارسى ، ويجوز أن يكون بيتاً عربيًّا وآخر فارسيًّا ، أو بيتين عربيين وآخرين فارسيين أو عدة أبيات عربية وعدة أبيات فارسية ، وقد أنشأ سعدى الشيرازى شاعر القرن السابع الهجرى

قصائد ملمعة بأكملها ، وجعل التلميع فى شطر بعد شطر ، أو بيت بعد آخر ، أو بيت بعد بيتين . هذا بالإضافة إلى أنه نظم شعراً باللغة العربية فى قصائد مستقلة ، وأهم قصائده تلك القصيدة التى يبكى فيها على بغداد وما أصابها على يد التتار وتقع فى اثنين وتسعين بيتاً ، ومطلعها :

حبست بجفنى المدامع لا تجرى   فلما طغى الماء استطال على السكر

ولا شك أن شعر سعدى الفارسى أفضل بكثير من شعره العربى الذى تعوزه الإجادة فى كثير من الأحيان .

ونذكر أيضاً الشاعر حافظ الشيرازى وهو من أعظم الشعراء الغنائيين لدى الفرس ، وقد نظم غزليات ملمعة تحتوى على أبيات عربية وفارسية . ومن ذلك الغزلية التى تبدأ بالمصراع التالى :

« ألا يا أيها الساقى أدر كأساً وناولها » .

وتنتهى بهذا المصراع العربى أيضاً : « متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها » .

والتلميع لا يكون فى الشعر فقط كما يظن بعضهم ، ولكنه يكون فى النثر أيضاً ، فاستخدام جمل أو عبارات عربية فى النثر الفارسى هو تلميع أيضاً .

أما الفن الثانى فهو الترجمة ، وقد ظهر هذا الفن أيضاً معتمداً على اللغتين ، ويكون بنقل أبيات من العربية إلى الفارسية شعراً ، أو العكس . وهناك أمثلة كثيرة لترجمة الشعر الفارسى إلى شعر عربى ، ومن

ذلك ما ذكره محمد عوفى فى كتابه «لباب الألباب» إذ قال إن بديع الزمان الهمذانى قد ترجم أبياتاً لمنطقى الرازى الشاعر الفارسى (متوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) وترجمة الأبيات هى(١) :

سرقت من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مثقلاً تدلج النمل بحب الحناط
قال أبى من ولدى منكما كلاكما يدخل سم الخياط

وكذلك أبيات لأبى شكور البلخى ترجمها إلى العربية أبو الفتح البستى وهو من أصحاب اللسانين ، وله شعر بالعربية والفارسية ، هذه الأبيات هى(٢) .

رميتك عن حكم القضاء بنظرة وما لى عن حكم القصاص مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتى جرحت فؤادى والجروح قصاص

ويضاف إلى كل هذا تلك الأفكار والمضامين العربية التى دخلت

---

(١) الأبيات الفارسية هى :

يك موى بدزديدم أزدوزلفت جون زلف زدى أى صنم بشأنه
جونانش بسختى همى كشيدم جون موركه كَندم كشد بخانه
باموى بخانه شدم بدركَفت منصور كدا مست أزين دوكَانه

(٢) الأبيات الفارسية هى :

أزدور بديدار تواندر نكَرستم مجروح شد آن جهره برحسن وملاحت
وزغمزه توخسته شد آزرده دل من وين حكم قضائيست جراحت بجراحت

الفارسية عن طريق اللغة العربية وآدابها ، ومن ذلك مثلاً أسماء كثير من العرب الذين اشتهروا بصفات معينة كحاتم الطائى وشهرته بالكرم ، وليلى والمجنون وشهرتهما بالحب ، ويوسف وزليخا وقصتهما التى وردت فى القرآن الكريم . وغير ذلك من الموضوعات التى تأثر بها الفرس فى شعرهم ونثرهم ، والتى نظموا حولها كثيراً من منظوماتهم وقصائدهم .

الكلمات العربية فى الفارسية :

هناك عوامل كثيرة ساعدت على دخول هذا العدد الكبير من الكلمات العربية فى الفارسية ، وأول هذه العوامل هو ترك الدين القديم والدخول فى الدين الإسلامى ، مما أدى إلى انتشار نفوذ اللغة العربية وثقافتها فى إيران . ومن أهم مظاهر هذا النفوذ أن الإيرانيين تركوا الخط البهلوى القديم المعقد إلى الخط العربى الذى وجدوه أيسر فى الكتابة وأوضح ، فمن عيوب الخط البهلوى أنه كان يعبر عن أصوات كثيرة بحرف واحد ، كوجود حرف واحد للنون والواو والراء ، مما يوقع القارئ فى اللبس . وقد سهلت الكتابة بالحروف العربية انتقال كثير من الكلمات العربية إلى الفارسية الإسلامية المكتوبة بهذه الحروف ، كما شجعهم ذلك على قراءة المؤلفات العربية والاطلاع على الأدب العربى شعره ونثره .

ومن ذلك أيضاً أن الإيرانيين قد وجدوا أن الكلمات العربية كانت فى

بعض الأحيان أسهل بكثير من الكلمات الفارسية القديمة ، كما أنهم استعملوا بعض المصطلحات والمفردات التى لم يجدوا مقابلاً لها فى لغتهم . وأهم أنواع هذه المصطلحات تلك التى تعبر عن المفاهيم الجديدة التى لم يسبق لها مثيل فى لغتهم .

والمعروف أن الفرس تركوا لغتهم لا يكتبون ولا ينظمون بها لفترة تجاوزت القرنين ، مما جعلهم ينسون كثيراً من الألفاظ والكلمات ، فأخذت تحل محلها كلمات عربية ، وكان هذا من الأسباب التى ساعدت أيضاً على دخول كثير من الألفاظ العربية فى الفارسية . ولكنهم عندما اضطروا بعد ذلك للكتابة بالفارسية ، كان عليهم أن يتذكروا كثيراً من تلك الكلمات الفارسيةَ المهجورة ويجددوا استعمال بعضها والاستفادة منها . ولا ننسى أن نقول أيضاً إن أوائل كتّاب الفارسية الحديثة كانوا من أصحاب اللسانين ، وهذا فى حد ذاته يوضح لنا مدى تأثر الفارسية بالعربية وثقافتها ، إذ نقل هؤلاء كثيراً من المفردات والمصطلحات ، وكذلك الأفكارِ والمضامين التى عرفوها وأجادوها من العربية إلى الفارسية ، ونظم بعضهم الشعر باللغتين ، كما ألف بعضهم الآخر الكثير من الكتب باللغتين . ولم يقتصر التأثير على انتقال المفردات بل تعداه أيضاً إلى تأثير قواعد اللغة العربية فى قواعد الفارسية . ويعد هذا فى حد ذاته شيئاً نادراً ، إذ من النادر أن تؤثر قواعد لغة فى قواعد لغة أخرى مثلما حدث بالنسبة للعربية والفارسية .

وقد ساعدت ترجمة بعض الكتب العربية إلى الفارسية على انتقال مجموعة كبيرة من هذه الكلمات إلى الفارسية ، ونحن نلاحظ على مثل هذه الكتب كثرة المفردات العربية فيها بالنسبة لغيرها من الكتب المؤلفة بالفارسية أصلاً .

لم يكن الذوق الأدبي يرضى مطلقاً أن تقدم له الفارسية خالصة . فقد كان من المقبول لدى الفرس قراءة المؤلفات الفارسية الممتزجة بالمفردات العربية ، والتي يجد فيها القارئ الطابع الديني من ذكر للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية . ومن أبرز الأمثلة على هذا ترجمة كتاب «كليلة ودمنة» التي قام بها أبو المعالي نصر الله بأمر بهرامشاه الغزنوي في سنة ٥٣٨ هـ .

ومن الأسباب التي ساعدت على رواج اللغة العربية ودخول ألفاظ عربية كثيرة في الفارسية ، وخاصة في العصور المتأخرة ، ذلك الاهتمام الشديد بالمحسنات اللفظية . والتي كانت تحتاج إلى مفردات كثيرة . ولم يجد الكتّاب والشعراء بداً من الاستعانة بالعربية وهي بحر زاخر بالمفردات والمشتقّات . لكي يتمكنوا من إظهار براعتهم في مجال تلك الفنون البديعية . وقد نظم بعض الشعراء الفرس قصائد بديعية ، وهي ما تسمى بالبديعيات ، يذكر الشاعر في كل بيت من أبياتها فناً من فنون البديع المختلفة . ومن هؤلاء قوامي الكَنجوي شاعر القرن السادس الهجري

وقصيدته التى يصل عدد أبياتها إلى مائة بيت والتى تعرف باسم «بدايع الأسحار فى صنايع الأشعار» .

وجدير بالذكر أيضاً أن نقول إن اللغة العربية كانت لغة الثقافة على مدى قرون كثيرة ، مما جعلها محط أنظار كل من يريد رقياً فكرياً ، وهذا جعلها موضع اقتباس من حيث المفردات والقواعد . بل لقد تكلف كثير من الكتاب والشعراء فى استعمال العربية ؛ إذ استخدموا فى إنتاجهم الأدبى الكلمات العربية المهجورة ، ومن ذلك ما نراه مثلاً فى إحدى قصائد الشاعر منوجهرى الدامغانى ، وقد وضعها شمس قيس الرازى فى فصل المَكلف ، وعاب على الشاعر استخدامه للكلمات العربية التى لا يستعملها الفرس فى كلامهم .

وقد وصل حد الإفراط فى استخدام الكلمات العربية إلى أننا عندما نطالع بعض الكتب الفارسية المتأخرة ، نجدها تغص بالكلمات العربية وربما لانجد فيها من الفارسية سوى الروابط والقيود .

والآن وفى عصرنا الحاضر ، فإن كثيراً من الكلمات العربية المستعملة يصعب الحصول على مرادف لها فى الفارسية ، أو أصبح مرادفها مهجوراً لا يستعمل مثل : كتاب ، وتأثير ، وإحساسات ، وحج ، ومنارة ، وخليفة ، وأمين ، وامانت ، وشعر . . إلخ ، بل نرى الفرس يستعملون كلمات وعبارات عربية يمكن الاستعاضة عنها بكلمات فارسية ، مثل : «لعل» بدلاً من «شايد» ، و«كأن لم يكن» بدلاً من «نابودشد»

وغير ذلك . كما نجد فى الفارسية أيضاً بعض المصطلحات المترجمة أصلاً عن العربية . ومن أمثلة ذلك قولهم : «دخترزر» وهو ترجمة «ابنة العنب» أى الخمر ، و«داستان زدن» وهو ترجمة «ضرب المثل» ، و«يكَانۀ زمانه» وهو ترجمة «وحيد العصر» ، و«بنابراين» وهو ترجمة «بناء على هذا» .

ويشاهد الدارس للغة الفارسية كثيراً من المصطلحات العربية التى صاغها الفرس لأنفسهم فى مقابل بعض المصطلحات الحديثة أو الاختراعات الجديدة ، ولا يوجد لها مثيل فى العربية ، ومثال ذلك قولهم : «ذوحياتين» . وهذا المصطلح يطلق على الحيوانات التى تعيش فى الماء وعلى اليابسة كالضفادع مثلاً . وقولهم «تحت اللفظى» ويعنون به الترجمة الحرفية . وقولهم «من البدو إلى الختم» أى من البداية إلى النهاية . «وعكاس» بمعنى مصور ، و«عكاسى» بمعنى التصوير ، وغير ذلك .

ونجد أيضاً تعبيرات فى الفارسية تستعمل اليوم ، وهى تتساوى فى معناها مع ما نقوله فى العربية ، كقولهم : «بديدۀ حسرت بجيزى نكَريستن» بمعنى : النظر إلى الشىء بعين الحسرة ، أو قولهم : «مثل سايه كسى راتعقب كردن» أى : تعقب الشخص كظله ، أو قولهم : «أميدش برباد رفت» أى : ذهبت آماله أدراج الرياح .

وما زالت العربية تساهم فى إنشاء المصطلحات الجديدة فى الفارسية برغم وجود الرغبة لدى الإيرانيين فى تكوينها من أجزاء فارسية خالصة ،

وذلك كما يحدث مثلاً فى مصطلحات علم اللغة ، فهم يستعملون كلمة «دلالت» فى مقابل Signification وكلمة «غنه» فى مقابل Nasal وكلمة «تضاد» فى مقابل Contrast ، وكلمة «تركيبى» فى مقابل Synthetic ، وعبارة «إبدال صوتى» فى مقابل Phonological Transformation، وهكذا .

وقد قام بعض الباحثين بعمل إحصائيات على بعض النصوص الأدبية القديمة والحديثة ، لكى يتبين نسبة استعمال المفردات العربية إلى الفارسية ، فوجد أن فى الصفحة الأولى من كتاب «تاريخ البيهقى» استخدم الكاتب ١٠٥ كلمات عربية من ٢٥٦ كلمة ، وفى الصفحة الأولى من كتاب «قابوسنامه» استخدم المؤلف ١٨ كلمة عربية من حوالى ١٢٠ كلمة ، وفى الصفحة الأولى من كتاب «سياستنامه» استخدم الكاتب ٣٧ كلمة عربية من حوالى ١٢٠ كلمة ، وفى كتاب «كَلستان» لسعدى الشيرازى يوجد أكثر من ٤٢ بيتاً من الشعر العربى وأكثر من ٣٥ عبارة عربية ين آية وحديث ومثل . وفى الغزلية الأولى للشاعر حافظ الشيرازى ٢٨ كلمة عربية من ١١٢ كلمة تقريباً ، هذا بالإضافة إلى المصراعين الأول والأخير منها وهما بالعربية . كما ذكر أنه أحصى فى قطعة من خطب الشاهنشاه ٤٢ كلمة عربية من حوالى ١٢٠ كلمة اشتملت عليها هذه القطعة .

ونستخلص من ذلك أن نسبة المفردات العربية فى اللغة الفارسية

كبيرة جداً وهى تشارك مشاركة فعالة فى كل ما يكتب أوينظم ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، فقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من هذه اللغة .

وأعتقد أن الدعوة إلى ترك الكلمات العربية كلها وإحلال كلمات فارسية محلها دعوة مستحيلة التحقيق ، ذلك أن مثل هذه الكلمات قد استقرت فى الفارسية منذ زمن بعيد ، بل إن بعض المصطلحات المركبة من أصول عربية لا نجد لها مثيلاً فى العربية كما ذكرنا . فهى من اختراع الفرس ، وهى بذلك لا تعد عربية إلا من ناحية الأصل ولكنها فارسية من ناحية الاستعمال . فمن منا يستعمل اصطلاح «خلع سلاح» بدلاً من «نزع السلاح» ، أومن يستعمل اصطلاح «بين المللى» بدلاً من «دولى» ؟ إنها مصطلحات فارسية لا تتصل بالعربية إلا من ناحية الأصل كما قلنا .

ونطالع اليوم بين الحين والآخر محاولات لإيجاد مقابل فارسى لبعض الكلمات العربية وهى محاولات قد تكون ناجحة من حيث تكوين المقابل الفارسى وتركيبه ، ولكنى أعتقد أنه من الصعب أن تطغى مثل هذه المصطلحات الجديدة بسهولة أو بسرعة على الكلمات العربية ، ولا يكفى أن تظهر مثل هذه المصطلحات فى كتاب واحدأو مقالة واحدة ، بل لابد من تعميمها فى وسائل النشر والإعلام المختلفة حتى تشيع بين الناس إن قدر لها ذلك . وبرغم أن اللغة التركية قد قطعت شوطاً كبيراً فى هذا المجال إلا أننا لا نستطيع أن نقول إنها تخلصت تماماً من الكلمات العربية ، بل

لا نستطيع أن نقول إنها محت الجزء الأكبر من المفردات العربية المستعملة فيها . ولا ضير فى أن يحاول أهل كل لغة تنقية لغتهم من المفردات الدخيلة فيها ، وهذا ما نحاوله نحن فى العربية ، خاصة فى مواجهة ذلك السيل الجارف من المصطلحات الحديثة التى تفد إلينا من البلدان الأجنبية .

وأرى أن خلق ألفاظ جديدة فى اللغة الفارسية فى مقابل المصطلحات والألفاظ التى تفد إليها فى عصرنا الحاضر أجدى من محاولة إبدال الكلمات العربية المستقرة فى الفارسية بكلمات فارسية أصيلة . فستظل المفردات العربية موجودة فى الفارسية ، وستظل تشارك فى بناء هذه اللغة إلى الأبد.

أما عن أنواع الكلمات العربية التى تستخدمها الفارسية ، فهى تستخدم الأسماء مثل سلامت ، سيرت ، نفرت ، وقد تكون الأسماء مجموعة أو مثناة مثل : طرفين ، مجلسين ، نحويين ، مشكلات ، علماء . ونلاحظ أن الفرس يجمعون أحياناً بعض الأسماء العربية المجموعة أصلاً ، بعلامات جمع فارسية مثل : حبوبات ، أطرافها ، أقطارها . فى حين أن هذه الكلمات : حبوب ، اطراف ، أقطار ، مجموعة أصلاً فى العربية ، ولكنهم يضيفون إليها علامات الجمع الفارسية» (ها — أن) .

كما تستخدم الفارسية أيضاً الصفات العربية مثل : أثر عميق ، أستاذ محبوب . وتستعمل الصفات مؤنثة أو مذكرة برغم أن مطابقة الصفة للموصوف من حيث التذكير والتأنيث ليست موجودة فى الفارسية ، فيقولون : مواد أولية ، وزارت خارجه . وتستعين الفارسية ببعض

الحروف العربية كذلك مثل : أما ، إلا ، بل ، لكن . . إلخ . وقد استخدمت قواعد اللغة العربية فى الفارسية سواء مع الكلمات والعبارات العربية التى دخلت فى الفارسية ، أومع الكلمات والعبارات الفارسية نفسها . وبرغم أن لكل لغة من اللغتين قواعدها الخاصة بها ، وبرغم اختلاف أصل كل منهما ، فقد تأثرت الفارسية بقواعد العربية نتيجة اختلاطها بها ، ودخول الكثير من المفردات والتراكيب العربية فيها .

والمعروف أن الكلمات العربية التى دخلت الفارسية كانت تخضع فى البداية لقواعد الفارسية ، إلا أنها سرعان ما أخذت تخضع لقواعد العربية ، ومن ذلك النسبة والتثنية والجمع والتنوين ومطابقة الصفة للموصوف ، فالنسبة كقولهم مانوى نسبة إلى مانى ، ودهلوى نسبة إلى دهلى . وتنسب الكلمات العربية المستعملة فى الفارسية كما فى العربية . أما التثنية فلا توجد صيغة خاصة بها فى الفارسية ، ولكنها أخذتها عن العربية . غير أن الكلمات العربية المستعملة فى الفارسية تأتى أحياناً مثناة فى حالة النصب أوالجر مثل : مجلسين ، طرفين . ونادراً ما تأتى فى حالة الرفع مثل : توأمان ، فرقدان . أما الجمع فقد استخدمت الجموع العربية فى الفارسية كقولهم : صادرات ، روحانيين ، ساكنين ، معلمين ، بساتين ، ميادين . إلا أنهم يجمعون الكلمات العربية أحياناً بعلامات الجمع الفارسية كقولهم : عاشقان (عشاق) ، واعظان (وعاظ) وهكذا .

وأما التنوين فلا وجود له أصلاً فى الفارسية ، وإنما يستعمل فى الكلمات

المأخوذة عن العربية ، ونلاحظ وجود مثل هذه الكلمات المنونة فى أقدم المؤلفات الفارسية ، ولكنها كانت قليلة فى بداية الأمر ثم كثرت بعد ذلك منذ القرن السادس الهجرى ، وما تلاه . كقولهم : عجالتاً ، مشافهةً ، اختياراً ، أصلاً ، مستقيماً ، احتمالاً . بل لقد استخدم الفرس بعض الكلمات التى لا تقبل التنوين فى العربية منونة . مثل : أكثراً ، أقلاًّ ، ونونوا كذلك بعض الكلمات الفارسية على الطريقة العربية . ولا ننسى أن نقول أيضاً إن الأعداد الترتيبية العربية تستخدم منونة فى الفارسية على أنها قيود ترتيب مثل : أولاً ، ثانياً . وتستخدم بدون التنوين على أنها صفة كقولهم : روز أول (اليوم الأول) مرحلة ثانى (المرحلة الثانية) . أما عن مطابقة الصفة للموصوف سواء فى التذكير أو التأنيث أو الإفراد أو الجمع فهذا غير موجود فى الفارسية ، غير أن هذه المطابقة قد ظهرت فى العبارات العربية المستعملة فى الفارسية منذ القرن السادس تقريباً كقولهم : صفات حميدة ، نتايج حاصلة ، أكابر رجال ، دولت قاهرة ، زوجة شريفة .

ويضاف إلى هذا كله أنهم أخذوا يأتون بالفعل فى أول الجملة الفعلية ، والمعروف أن الجملة الفارسية تنتهى بالفعل ، ونادراً ما يأتى الفعل فى أول الجملة إلا فى أفعال السؤال والقول والأمر والإجابة ، غير أننا رأينا بعض كتّاب الفرس منذ القرن الخامس الهجرى يبدءون بعض الجمل بالفعل تقليداً للجملة العربية .

التغييرات التى تطرأ على الكلمات العربية المستعملة فى الفارسية :

من الطبيعى أن أى لغة تقتبس مفردات من لغة أخرى ، أن تخضعها كلها أو بعضها لخصائصها الصوتية ؛ حتى تتلاءم مع مفردات اللغة الأصلية ، وتصبح جزءاً من هذه اللغة . وقد حدث هذا مثلاً مع الكلمات الفارسية التى دخلت العربية فغيرت فيها بعض الحروف ، وأخضعتها لقواعد الصرف العربى ، حتى أنها بعدت عن أصلها فى كثير من الأحيان ، وأصبح من الصعب معرفة ذلك الأصل إلا بالدراسة وتتبع تطور الكلمات .

بدّل العرب حرف الباء المثلثة أو الثقيلة مثلاً إلى باء خفيفة ، والكاف الفارسية إلى جيم عربية أو قاف أو غين ، وكان هذا من الضرورات التى فرضتها القوانين الصوتية للغة العربية على ما اقتبسته من مفردات فارسية .

وهكذا كان الحال بالنسبة للمفردات العربية التى دخلت الفارسية ، إذ خضعت لكثير من القواعد الصوتية الخاصة بالفارسية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى تغييرات حدثت فى المعنى أيضاً . ويجب أن نشير هنا أيضاً إلى أن الفرس لا يراعون مخارج بعض الحروف العربية المستعملة فى لغتهم ؛ فمثلاً ينطقون الثاء والصاد كالسين ، وينطقون الذال والضاد والظاء كالزاى ، وينطقون الطاء كالتاء . هذا بالإضافة إلى أنهم ينطقون حرف القاف كالغين ، وحرف العين كالهمزة ، وحرف الحاء

كالهاء ، وحرف الواو كحرف « V » فى اللغات الأوربية أحياناً . كل هذا يدخل بطبيعة الحال فى الاختلافات الصوتية التى تطرأ على الكلمات العربية الدخيلة فى الفارسية ؛ بمعنى أن الكلمات العربية إذا سمعتها أحياناً من الرجل الإيرانى لا تفهمها إلا إذا كنت على علم بذلك التغير الذى يطرأ على مخارج الحروف عند نطقهم لها . فإذا سمع عربى إيرانياً يقول مثلاً كلمة « تبأ » ، فإنه لا يمكن أن يتصور أنها هى كلمة « طبع » العربية بعد أن خضعت لطريقة النطق الفارسية للحروف العربية ، وهكذا .

ويمكننا أن نجمل التغييرات التى طرأت على الكلمات العربية المستعملة فى الفارسية فيما يلى :

١ — تغييرات فى نطق الكلمات : ويكون ذلك عن طريق تغيير الحركات مثل : شفقَت ومتَواضع التى تنطق شَفْقت ومتْواضع أو مثل : رَباب ومعدِن ومتداوَل التى تنطق : رُباب ومعدَن ومتداوِل . وهناك كلمات عربية لها نطقان صحيحان أو أكثر ، ويشيع استعمال أحد هذين النطقين فى الفارسية عن الآخر ، ومثال ذلك : جَهاز وجِهاز ، خُفْية وخِفْيةَ . وبعض هذه الكلمات العربية من هذا النوع لا تستعمل بأى نطق لها فى العربية ، ولكنها تنطق بنطق خاص فى الفارسية ، ومثال ذلك : لَحْد ولُحْد فى العربية ، التى تنطق فى الفارسية لَحَد .

كما يحذف التنوين أيضاً من بعض الكلمات العربية المستعملة فى الفارسية ، ومثال ذلك قولهم : « صافْ» بدلاً من « صافٍ» ، و « أبدا » بدلاً من

«أبداً» ، و«اصلا» بدلاً من «أصلاً» ، وهكذا .

وقد يكون تغيير نطق الكلمات عن طريق تغيير الحروف من حذف أو زيادة أو تبديل ، ومثال الحذف ما يحدث بالنسبة للحرف المشدد مثل كلمة «ماليّات» التى تنطق بدون تشديد ، و«طبيعىّ» التى تنطق بدون تشديد أيضاً ، «وأعضاء» التى تنطق بدون الهمزة الأخيرة «أعضا» ، و«أبو على» التى تنطق «بوعلى» بحذف الهمزة . و«مداوا» بدلاً من «مداواة» بحذف التاء المربوطة . وقد تحذف عدة حروف فى وقت واحد مثل قولهم «واسطة عقد» بدلاً من «واسطة العقد» . ومثال الزيادة فى الحروف أن تشدد بعض حروف الكلمات العربية فى حين أنها ليست مشددة أصلاً فى العربية مثل قولهم «كراهيّت» بدلاً من «كراهية» . أو تزاد بعض الحروف مثل قولهم «خالو» بدلاً من «خال» ، ويدخل فى هذا الباب أيضاً إضافة السوابق واللواحق الفارسية إلى الكلمات العربية .

ومثال التبديل قولهم «ليكن» بدلاً من «لكن» فبدلت الألف إلى ياء ، أو «سليح» بدلاً من «سلاح» ، أو «جزو» بدلاً من «جزء» ، أو «مايل» بدلاً من «مائل» .

وقد تحدث الزيادة والتبديل فى وقت واحد مثل «كراء» التى صارت فى الفارسية «كرابة» ، كما أنه قد يحدث حذف وتبديل فى آن واحد أيضاً مثل «مراء» التى أصبحت فى الفارسية «مرى» ، ويحدث أحياناً تغيير فى الحرف والحركة معاً مثل «هَدْيه» بدلاً «من» «هَديّة» .

٢ – تغييرات فى معانى الكلمات : تستعمل الفارسية بعض الكلمات العربية ولكن بمعان تختلف عن المعانى التى تستعمل بها فى العربية ، إذ خصص الفرس هذه الكلمات لمعان معينة اصطلحوا عليها ، ومثال ذلك كلمة « رعناء » وهى تعنى فى العربية المرأة الحمقاء أو الهوجاء فى منطقها . وتعنى فى الفارسية المرأة الجذابة الجميلة المنظر والمديدة القوام . وكلمة « الملة » وتعنى فى العربية الشريعة والدين ، وتعنى فى الفارسية الشعب . وكلمة « كثيف » وتعنى فى العربية غليظ أو كثير ، وهى فى الفارسية بمعنى قذر ، و « كثافت » بمعنى قذارة . وكلمة « حرف » التى تعنى فى الفارسية الكلام . وكلمة « تسبيح » وتعنى فى العربية ذكر الله وقول سبحان الله ، أما فى الفارسية فتطلق على السبحة وهى أداة التسبيح .

٣ – تغييرات فى النطق والمعنى : أحياناً يتغير نطق الكلمة العربية ومعناها فى آن واحد عند استعمالها فى الفارسية ؛ ومثال ذلك كلمة « مَصَافْ » ، وهى فى العربية مشددة « مصافّ » ، كما أنها جمع « مَصَفّ » أى موضع الصف أثناء الحرب ، ولكن مصاف فى الفارسية تعنى الحرب نفسها ، ومنها صيغ المصدر « مصاف كردن = أن يحارب » . وكذلك كلمة « تماشا » وهى فى الأصل « تماشى » أى الذهاب والإياب ، وتعنى فى الفارسية الآن : التفرج والتطلع إلى الشىء ، وقد اشتق منها كلمة « تماشا خانة » أى المسرح .

٤ – تغييرات فى الشكل والإملاء : تأثرت الكلمات العربية التى

دخلت الفارسية بطريقة الكتابة الفارسية ، ومن ذلك أن التاء المربوطة إذا كانت ملفوظة عادة ما تكتب مفتوحة فى الفارسية مثل : إرادة ، رحمة ، مراجعة ، التى تكتب فى الفارسية : إرادت ، رحمت ، مراجعت . ويستثنى من هذه القاعدة بعض الكلمات مثل : زكاة وصلاة .

ومن ذلك أيضاً كتابة الألف بدلاً من الياء ، مثل قولهم : مبتلاً ، بدلاً من مبتلى ، أعلى فى الكتابة العربية وربما كتبت على هذه الصورة تبعاً للنطق . كما يكتب تنوين النصب فى الكلمات المنتهية بتاء مربوطة أو همزة كما يلى : استثنائاً ، حقيقتاً ، طبيعتاً ، جزئاً .

ولا يعنى هذا أن مثل هذه الكلمات المذكورة لا تكتب إلا بهذه الصورة ، فأحياناً تكتب بصورتها الأصلية كما فى العربية تماماً .

الفصل الثالث

تأثير اللغة الفارسية فى اللغة العربية

ساعد الاختلاط والامتزاج بين العرب والفرس بعد الإسلام على تأثر لغة كل منهم بلغة الآخر ، والواضح أن اللغة العربية قد أثرت تأثيراً كبيراً فى الفارسية على نحو جعلها المنهل الوحيد الذى تنهل منه الفارسية بعد الإسلام . ولم يقتصر التأثير العربى عند حد المفردات والمصطلحات بل تعداه . أيضاً إلى التأثير من ناحية النحو العربى .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن التأثير لم يكن من جانب واحد ؛ فمما لا شك فيه أن العربية قد تأثرت أيضاً بالفارسية ، ولم يكن ذلك بعد الإسلام فحسب ، بل كان قبل ظهور الإسلام ؛ إذ كانت هناك علاقات وروابط سياسية وتجارية يحدثنا عنها التاريخ بين العرب والفرس ، ومن أقدم الكلمات الفارسية التى دخلت العربية كلمة «ورد» وهى التى تطلق على الوردة الحمراء ، ويقال إن العرب أخذوها منذ العصر الساسانى ، وأصل هذه الكلمة فى اللغة الأفستية «ورذ» ، وغير ذلك من الكلمات التى جاء بعضها فى القرآن الكريم .

ومن الواضح أن مثل هذه الكلمات كانت معروفة لدى العرب منذ

وقت طويل ، حتى أنها عندما جاءت فى القرآن الكريم ، فهمها العرب وأدركوا معانيها . ومثال ذلك : إستبرق وهى معرب إستبرك ، وإبريق وهى معرب «آب ريز» ، وكنز وهى معرب كَنج ، وسجيل وهى معرب سكَك وكَل .

وقد اختلف كثير من العلماء والفقهاء حول هذه الألفاظ قديماً ، وذكر لنا الجواليقى فى كتابه « المعرب » أن بعضهم قال بأن كتاب الله تعالى ليس فيه شىء من غير العربية واحتجوا بقوله تعالى : «إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون» . وادعى فريق آخر أن بعض الكلمات مثل – سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق وإستبرق ، من غير لسان العرب . ويوفق الجواليقى ين هذين الرأيين ، فيرى أن هذه الحروف كانت بغير لسان العرب فى الأصل ، ثم لفظت بها العرب بألسنتها ، فعربتها ، فصارت عربية بتعريبها إياها ، فهى عربية فى هذه الحال ، أعجمية الأصل . وهذا القول يصدق الفريقين جميعاً .

وهذا رأى صائب إلى حد بعيد ؛ ذلك أن الألفاظ عندما تنتقل من لغة إلى لغة أخرى ، وتخضع لشىء من التغيير طبقاً للخصائص الصوتية للغة أخرى ، إنما تصبح كأى كلمة من الكلمات الأصلية فى اللغة المستعيرة ، وهذا هو ما حدث بالنسبة للكلمات الفارسية التى دخلت العربية ، والتى تصرف فيها العرب تصرفات كثيرة أبعدت معظمها عن صورتها الأصلية ، حتى أنه بات من الصعب على كثير من الباحثين

المدققين الوصول إلى أصول كثير من تلك الكلمات المقتبسة من الفارسية ، فى حين يسهل على الباحث معرفة الألفاظ العربية المستعملة فى الفارسية دون عناء أو مشقة .

والقارئ للشعر الجاهلى يستطيع ملاحظة بعض الألفاظ الفارسية المستخدمة فيه ، ومن ذلك مثلاً كلمة « الدِّمَقْسُ » ، ومعناها ، القز الأبيض ، وما يجرى مجراه فى البياض والنعومة . وقد جاءت فى شعر لامرئ القيس إذ قال :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

وكذلك كلمة « القيروان » وأصلها فى الفارسية «كاروان» التى جاءت أيضاً فى شعر لامرئ القيس :

وغـــارةٍ ذات قيروانٍ كـأن أسرابها الرِّعـالُ

وكلمة « الِهْرِبذُ » ، وجمعها الهرابذة والهرابذ ، وهم خدم النار ، وقيل حكام المجوس الذين يصلون بهم . وجاءت فى شعر لامرئ القيس يقول فيه :

إذا زاعه من جانبيه كليهما مشى الهربذى فى دفه ثم فرفرا

ويقول جرير مستخدماً نفس هذه الكلمة :

يمشى بها البقرُ الموشيَّ أكْرعُهُ مشى الهرابذ حجوا بيعة الزونِ

واستخدم الأعشى «كلمة» « البربط » ، وهى آلة موسيقية شبهت بصدر البط ، لأن « بر» فى الفارسية بمعنى صدر . وأيضاً كلمة « الصنج »

وهى آلة موسيقية اختص بها العجم ، ومن هنا سمى الأعشى بصناجة العرب لجودة شعره ، يقول :

والناى نرم وبربطٍ ذى بُحَّةٍ والصنجُ يبكى شجوَهُ أن يوضعا

ويستخدم الأعشى كلمات فارسية كثيرة فى شعره ، من ذلك قوله :

لنا جُلَّسانٌ «حولها وبنفسجٌ» وسيسنبرٌ والمرْزَجوشُ منمنماً

والجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش كلها كلمات فارسية تدل على أنواع مختلفة من الأزهار.

كما أن القارئ للشعر العربى الإسلامى يلاحظ دخول عدد كبير من الألفاظ الفارسية فى اللغة العربية ، وقد استفاد منها الشعراء فى شعرهم . وهذه الزيادة فى الألفاظ الفارسية واستعمالها أمر طبيعى بعد امتزاج العرب والفرس ، وتأثير كل منهم فى الآخر . ومن ذلك قول الفرزدق مستخدماً عبارة «الفرند الخسروانى» والفرند كما جاء فى «المعرب» معناها الحرير ، والخسروانى معناها الملكى ، يقول :

لبسن الفرند الخسروانى فوقه مشاعر من خز العراق المفوق

ويقول أبو نواس مستخدماً كلمة «الإسفنط» ، وهو نوع من الشراب أو اسم من أسماء الخمر :

نادمتهم قرقف الإسفنط صافية مشمولة سبيت من خمر تكريت

ويقول ابن الرومى فى وصف نوع من أنواع الحلوى :

ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع العيون مع الدهان يعصر

وجاء فى المعرب : «سكر طبرزد وطبرزل وطبرزن : ثلاث لغات معربات . وأصله بالفارسية تبرزد ، كأنه يراد : نحت من نواحيه بفأس . والتبر : الفأس بالفارسية . ومن ذلك سمى الطبرزد من التمر ، لأن نخلته كأنما ضربت بالفأس» .

وواقع الأمر أن اللغة العربية لم تتأثر بلغة أجنبية أخرى قدر تأثرها بالفارسية ، وقد أدى هذا إلى أن أئمة اللغة إذا أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدوها فارسية ، وقد يكون بعضها غير فارسى .

ومن الطبيعى أن تكون الألفاظ الفارسية التى دخلت العربية بعد الإسلام أكثر عدداً وتنوعاً من الألفاظ التى دخلت قبل الإسلام ، وأهم ما دخل العربية منها قبل الإسلام أو فى فجره بعض الألفاظ الإدارية ، مثل : الديوان ، والدهقان (ديهگان) ، والفرسخ (فرسنگ) ، وبعض الألفاظ الدينية ، مثل : الجناح (گناه) والمجوس ، والنيروز (نوروز) ، وبعض أسماء الأشياء الخاصة بالفرس أو المستوردة من عندهم ، مثل : الصنج (چنگ) ، والصولجان (چوگان) ، والجاموس (گاوميش) ، وبعض أنواع المنسوجات ، مثل : الديباج (ديبا) ، والاستبرق (استبرگ) ، والإبريسم (ابريشم) ، وبعض الأشياء الأخرى ، مثل : السراج (چراغ أو شراگ) ، والخندق (كندگ) . ثم يزداد الاختلاط رويداً رويداً بين العرب والفرس ، وتتنوع الألفاظ المقتبسة من الفارسية ، فيأخذ العرب كثيراً من أسماء الملابس والأنسجة كالسروال (شلوار)

والجورب (گورب) ، والبابوج (پاپوش) ، والسرموج (سرموزه) . كما أخذوا عنهم كثيراً من أسماء أنواع الأطعمة ، وأنواع الأسلحة والفرش والأدوات ، ومن ذلك مثلاً : الجلاب (گل آب = ماء الورد) ، والجلنار (گل آنار = زهرة الرمان) ، والبنفسج (بنفشه) ، والخشاف (خوش آب = الماء الحلو) ، والدولاب (دول آب = ماء الدلو) ، والسرداب (سرد آب = المكان ذو الماء البارد أو الرطب) .

والمعروف أن اللغة المقتبسة إنما تأخذ دائماً من غيرها من اللغات ما تحتاج إليه ، فهى تأخذ منها بعض الألفاظ والمفردات التى تتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ، وهذا هو ما حدث بالنسبة للمفردات التى أخذتها العربية عن غيرها من اللغات وخاصة اللغة الفارسية . وبالإضافة إلى ما ذكرنا ، فقد دخلت أسماء الأعياد الإيرانية القديمة ، وذكرها الأدباء العرب فى إنتاجهم الأدبى سواء فى الشعر أو النثر ، ومن ذلك عيد « النوروز» الذى ذكر على شكل « نيروز» فى العربية ، وعيد « المهرگان » الذى عرب على شكل « مهرجان » ، وما زلنا نستعمل هذه الكلمة فى اللغة العربية ، ولكننا نستعملها الآن بالمعنى المطلق للعيد ، وكذلك عيد « السذق » وهو معرب كلمة « سده » الفارسية ، وعيد « رام » ، وغير ذلك من الأعياد . ومن أمثلة استخدام مثل هذه الكلمات فى الشعر قول جرير يهجو الأخطل مستعملاً كلمة النيروز :

عجبتُ لفخر التغلبىِّ وتغلبُ تؤدى جزى النيروز خضعاً رقابها

ويقول أبو نواس مستعملاً كلمة «رام» :

اسقنى إن يومنا يوم رام ولرام فضل على الأيام

وإذا حاولنا أن نبين الفرق بين اقتباس العربية من الفارسية ، واقتباس الفارسية من العربية ، فلابد لنا أن نذكر ما يلى :

أولاً : إن ما أخذته العربية من الفارسية قليل جداً إذا ما قيس بما أخذته الفارسية من العربية ، ذلك لأن اللغة العربية بعد الإسلام كانت لغة قوية معبرة ، ذات كيان متكامل ، صالحة للتعبير عن كل المعانى المتصلة بشئون الحياة ومطالبها ، لذلك فهى لم تكن فى حاجة إلى ألفاظ أجنبية تستخدمها إلا ماكان يدل على أمور جديدة مستحدثة لم يكن للعرب بها معرفة من قبل . ومن هنا أخذ العرب بعض الألفاظ والمصطلحات الديوانية والإدارية ، وكذلك الألفاظ التى تعبر عن وسائل وأدوات جديدة ، أوأنواع من الأطعمة والملابس والنباتات .

أما بالنسبة للفارسية ، فقد كانت لغة جديدة إلى حد ما ، صحيح أنها كانت موجودة قبل الإسلام كلهجة من اللهجات ثم تطورت وأصبحت لغة مستقلة وانتشرت فى كل إيران بعد ذلك ، إلا أنها كانت فى بداية أمرها ، ولم يكتب أو ينظم بها إلا بعد مرور ثلاثة قرون من الإسلام ، لذلك كانت فى حاجة إلى الكثير من الألفاظ والمصطلحات حتى تقوى ويشتد عودها ، وتتمكن من التعبير عن كل المفاهيم والمعانى

المستحدثة كما أن الإيرانيين وقد دخلوا ديناً جديداً ، تركوا كل الألفاظ والمصطلحات الدينية القديمة واستعملوا مصطلحات عربية جديدة خاصة بهذا الدين .

ثانياً : لم يكتف العرب باقتباس هذه الألفاظ واستخدامها دون تبديل أو تغيير ، فقد أخضعوا كل ما اقتبسوه من الفارسية تقريباً للتغيير ، حتى يتفق مع أصوات لغتهم ، بل أخضعوه لقواعد نحوهم وصرفهم . علماً بأن الفرس عندما أخذوا ألفاظاً عربية ، فإنهم غالباً ما استعملوها فى صيغها العربية ، بل ظلت خاضعة لكل قواعد الإملاء والصرف والنحو العربى فى أغلب الأحيان ، ونحن ما زلنا نقرأ فى الفارسية المعاصرة كلمات عربية تخضع لأنواع الجموع العربية ، ولمطابقة الصفة للموصوف وغير ذلك ، وهكذا أصبحت اللغة الفارسية مركبة من مجموعتين من المفردات ، تخضع كل مجموعة منهما لقواعد وقوانين خاصة بها ، فمجموعة تخضع لقواعد الفارسية وأخرى تخضع لقواعد العربية ، ولابد لمن يريد فهم المجموعة الأولى وقواعدها من الرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة الفارسية ، ولابد لمن يريد فهم المجموعة الثانية من الرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة العربية .

ثالثاً : إن العرب أخذوا ما يحتاجون إليه فقط من المفردات الفارسية دون توسع فى الأخذ والاقتباس ، فى حين أن الفرس توسعوا فى ذلك حتى أنهم أخذوا من العربية كثيراً من الألفاظ التى كان لها مرادف

فارسى ، فلم يكن الاقتباس نتيجة الحاجة أو الضرورة ، بل كان فى كثير من الأحيان للتظاهر بمعرفة العربية وإجادتها ، أو بهدف استعمال المحسنات البديعية ، حتى أن بعض الأدباء قد بالغ فى ذلك مبالغات شديدة ، وأخذ يستعمل كثيراً من الكلمات العربية المهجورة ، وأصبح الإفراط فى استخدام المفردات العربية طابعاً مميزاً للكتابة الفارسية فى بعض العصور .

٨

رابعاً : إن العربية لم تأخذ من الفارسية عبارات أو جملاً ، بل أخذت منها ألفاظاً فقط ، وهذا عكس ما حدث بالنسبة للفارسية ؛ فقد أخذت من العربية ألفاظاً وعباراتٍ ، وتشهد على ذلك مؤلفات الفرس قديمها وحديثها حيث تغص بعبارات وجمل عربية كثيرة .

خامساً : إن العربية لم تأخذ من الفارسية إلا أسماء فقط ، ولم تأخذ أفعالاً أو حروفاً ولكنهم اشتقوا بعض الأفعال من الأسماء الدخيلة ، مثل : ألجم من لجام (لگام) فقالوا : ألجم الدابة ، أى ألبسها اللجام ، والتجمت الدابة ، وجمعوا لجاما على لجم وألجمة ، ثم استخدموه مجازاً فقالوا : لجمه الماء تلجيما ، أى : بلغ فاه ، وقالوا : لفظ لجامه ، أى : انصرف عن حاجته مجهوداً من الإعياء والعطش ، ولجم الثوب خاطه . وقولهم : التقى ملجم ، أرادوا به أنه مقيد اللسان والكف . وكذلك اشتقوا من مُهْر الفعل مهر ، فقالوا : مهر الكتاب ،

أى ختمه بالمهر ، ومهور مختوم ، واشتقوا من ديوان : دوّن ، أى كتب اسمه فى الجندية . وهكذا .

التغييرات التى طرأت على الألفاظ الفارسية التى دخلت العربية :

اتبع العرب فى تعريبهم للكلمات الفارسية التى دخلت العربية قواعد معينة غالباً ، ذكر بعضها الجواليقى تحت عنوان « باب معرفة مذاهب العرب فى استعمال الأعجمى » ، ومن ذلك أنهم كانوا يبدلون الحروف التى ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً ، وربما أبدلوا مابَعُدَ مخرجه أيضاً ، والإبدال لازم لئلا يدخلوا فى كلامهم ماليس من حروفهم وربما غيروا البناء من الكلام الفارسى إلى أبنية العرب ، وهذا التغيير يكون بابدال حرف من حرف ، أو زيادة حرف ، أو نقصان حرف ، أو إبدال حركة بحركة ، أو إسكان متحرك ، أو تحريك ساكن . وربما تركوا الحرف على حاله ولم يغيروه .

ونفهم من هذا أن العرب أخضعوا الكلمات الفارسية الدخيلة وغيرها لقواعد العربية وأبنيتها ، ولم لا وهناك قواعد معينة لا يمكن أن تتخطاها هذه الكلمات ، كما أن هناك من الحروف الفارسية ماليس موجوداً فى العربية كالباء الفارسية (پ) والجيم الفارسية (چ) والزاى الفارسية (ژ) والكاف الفارسية (گ) ، فكان لابد للعرب من تبديل هذه الحروف وتغييرها حتى تخضع هذه الكلمات للأصوات الخاصة بالعربية .

وأبرز التغييرات التى حدثت للكلمات الفارسية الدخيلة إبدال الهمزة إلى عين مثل كلمة (أنزروت) (= اسم صمغ) التى صارت فى العربية (عنزروت) ، وإبدال الباء الفارسية إلى فاء أو باء عربية مثل (پرند) (= فرند السيف ، جوهره) التى صارت فى العربية (فرند أو برند) ، وإبدال الجيم الفارسية إلى صاد غالباً مثل كلمة (چرم) التى صارت فى العربية (صرم) (= الجلد) ، وإبدال الدال والهاء الصامتة إلى ذال وجيم مثل (ساده) التى صارت فى العربية (ساذج) (= بسيط) ، وإبدال الشين إلى سين مثل كلمة « دشت » التى صارت « دست » (= السهل) ، وإبدال الكاف إلى قاف مثل كلمة « كبك » التى صارت فى العربية « قبج » (= طائر الحجل) ، وإبدال الكاف الفارسية إلى جيم مثل كلمة « لگام » التى أصبحت « لجام » فى العربية ، وإبدال الكاف الفارسية إلى قاف أحياناً مثل كلمة « كمنده پير » التى صارت فى العربية « قندفير » (= العجوز الشمطاء المحطمة) .

وبالإضافة إلى ذلك فأحياناً يتغير حرفان فى الكلمة الواحدة مثل كلمة « روستا » التى أصبحت فى العربية « رزداق » (= السواد والقرى) ، ويقال فيها أيضاً « رزتاق » ، ونلاحظ أن السين قلبت إلى زاى ، كما أضيف إليها حرف القاف .

وقد تحدث التغييرات نتيجة الحذف أو القلب أو الزيادة فى الحروف ، مثل كلمة « گاوميش » التى عربت إلى « جاموس » ، وفيها

قلبت الكاف الفارسية والشين إلى جيم وسين ، والياء إلى واو ، وأيضاً كلمة « جوگان » التى عربت إلى « صولجان » ومعناها المحجن ، وفيها أبدلت الجيم المثلثة إلى صاد والكاف الفارسية إلى جيم ، وأضيف إليها حرف اللام . ومن أمثلة التغيير نتيجة حذف جزء من الكلمة الفارسية المركبة ، كلمة « هزار دستان » التى صارت « الهزار » (وهو نوع من البلابل) وكلمة « سراپرده أو سرادار » التى أصبحت « سرادق » فى العربية .

وليس من الضرورى أن تعرب الكلمة الفارسية بشكل واحد ، فأحياناً تعرب الكلمة بأكثر من شكل ومن ذلك كلمة « آسمانگون » (فى لون السماء) التى عربت إلى : آسمانجون والسمنجونى والسبنجونه ، ويؤدى التغيير الذى حدث لبعض الكلمات الفارسية إلى بعدها عن أصلها ، ومثال ذلك كلمة « البيزرة » (تربية البازى) ، وهى مشتقة من « بازيار » أو « بازدار » الفارسية .

ومنذ قرون كثيرة ، ، قام بعض العلماء بتسجيل الكلمات المعربة فى اللغة العربية ، وأول من ألف كتاباً فى هذا الموضوع هو أبو منصور موهوب ابن أحمد الجواليقى (م ٥٣٩ هـ) . أما كتابه فهو « المعرب من الكلام الأعجمى » ، وهو من أجمع الكتب التى تناولت الألفاظ المعربة . وقد جمع فيه مؤلفه ما عرب من الألفاظ الأعجمية حتى عصره ، وحرص على أن يبين اللغات التى أخذت منها الألفاظ ، وأصول الألفاظ فى هذه

اللغات ماوسعه علمه ، كما اجتهد أن يسند الأقوال إلى أصحابها من أئمة اللغة . ولم يأل جهداً فى الاستشهاد بالآيات والأحاديث والشعر ، ورتب ما جمع على حروف المعجم ، إلا أنه رتبه بالحرف الأول فقط وأهمل سائر حروف الكلمات ، فعسر على الباحث أن يعرف موضع الكلمة فى بابها ، ومعظم الكلمات التى ذكرها المؤلف فارسية كما أنه توجد كلمات من لغات أخرى .

ويلى هذا الكتاب مؤلف آخر فى هذا الموضوع وهو كتاب « شفاء الغليل » لشهاب الدين أحمد الخفاجى الكوفى ، الذى كان يعيش فى القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد أضاف كثيراً من الكلمات على ما ذكر الجواليقى .

وهناك مؤلفات حديثة فى هذا الصدد أهمها كتاب « الألفاظ الفارسية المعربة الذى ألفه أدى شير ، وطبع فى بيروت سنة ١٩٠٨ م ، ويحتوى على مجموعة كبيرة تزيد على ما جاء فى كل كتاب من الكتابين السابقين ، وقد حاول مؤلفه أيضاً إرجاع هذه الألفاظ إلى أصولها فى اللغة الفارسية ووفق فى هذا إلى حد بعيد .

ومن المؤلفات الفارسية الهامة فى هذا الموضوع أيضاً نذكر « فرهنگ واژه هاى فارسى درزبان عربى » أى : معجم الألفاظ الفارسية فى اللغة العربية ، لمحمد على إمام الشوشترى ، والذى نشر ضمن سلسلة جمعية الآثار القومية (انجمن آثار ملى) فى طهران سنة ١٣٤٧ ، وقد قدم له

مؤلفه بمقدمة قيمة عن تأثير اللغة الفارسية فى اللغة العربية ، والتغييرات التى حدثت للكلمات الفارسية التى دخلت العربية ، ورتب المؤلف الكلمات ترتيباً أبجديًّا سليماً ، ويبلغ عدد الكلمات التى جمعها حوالى ٧٧١ كلمة فارسية مستعملة فى العربية .

وطريقة المؤلف هى أنه يذكر الكلمة بصورتها المستعملة بها فى العربية ومعناها ، ثم يحاول تحديد أصلها فى الفارسية واستعمالاتها ، ويستشهد فى كثير من الأحيان بأبيات من الشعر العربى الذى استعملت فيه هذه الكلمة .

وقد وضع لنا علماء العرب قديماً – ضمن دراساتهم فى المعرب والدخيل – أسساً نستطيع بواسطتها معرفة الدخيل فى العربية ؛ فالألفاظ التى تدخل تحت هذه الأسس لابد وأنها غير عربية ، ومن ذلك مثلاً ما ذكره الجواليقى :

(ا) إنه لا تجتمع فى كلمة عربية الجيم والكاف ، فإذا اجتمعا فى كلمة فلابد أنها معربة مثل : القبج والجوق .

(ب) لا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية ، مثل : الجص والصنجة والصولجان .

(حـ) ليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، وإذا حدث ذلك فالاسم معرب ، مثل : نرجس ، نرس ، نورج .

(د) ليس فى كلام العرب زاى بعد دال إلا دخيل ، مثل : الهنداز والمهندز .

(هـ) لا توجد كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء .

(و) لا يوجد خماسى أو رباعى بغير حرف أوحرفين من حروف الذلاقة [١] ، وإذا جاء ذلك فإنه ليس من كلام العرب ، مثل : عقجش .

(١) حروف الذلاقة ستة : ثلاثة من طرف اللسان ، وهى : الراء والنون واللام ، وثلاثة من الشفتين ، وهى الفاء والباء والميم .

الفصل الرابع

العربية للإيرانيين والفارسية للعرب

شاهدنا فيما سبق من فصول تأثير كل من اللغتين فى الأخرى ، ومن هنا تكون دراسة كل شعب للغة الآخر على درجة كبيرة من الأهمية . فما زال الإيرانيون وسيظلون فى حاجة إلى دراسة اللغة العربية ومعرفة نحوها وصرفها ، وما زال العرب وسيظلون فى حاجة إلى دراسة اللغة الفارسية وآدابها . فقد ارتبط الشعبان منذ زمن بعيد برباط وثيق هو رباط الدين الإسلامى ، وساهم الشعبان فى بناء صرح الحضارة الإسلامية واختلطا معاً ونتج عن هذا تأثير وتأثر لغوى ، وسيظل هذا التأثير والتأثر موجوداً وفعالاً طالما بقيت اللغتان : العربية والفارسية .

وسنحاول فى هذا الفصل إجمال الأسباب التى تدعو كلا منهم لدراسة لغة الآخر .

فأما من ناحية دراسة الإيرانيين للعربية فى عصرنا الحاضر فإن ذلك يرجع إلى كثير من الأسباب أهمها :

أولاً : إن العربية بالإضافة إلى كونها لغة مؤثرة فى الفارسية ، فهى لغة حية يتحدث ويكتب بها ملايين من أفراد البشر حتى الآن ، فتعلمها

ومعرفتها يفيدان الدارس لها بصفتها لغة حية كسائر اللغات الأجنبية كالفرنسية أو الإنجليزية أو أى لغة أخرى . ودارس هذه اللغة يستطيع أن يتعرف على ثقافة الشعوب العربية وفكرها وحضارتها قديماً وحديثاً .

ثانياً : إن العربية من ناحية أخرى لغة الدين ، ولابد لمن يريد فهم دينه وقرآنه أن يكون ملماً بها وبقواعدها من نحو وصرف ، وبعلومها من بلاغة وأدب ونقد وغير ذلك . بل لابد لمن يريد أن يتخصص فى المسائل الدينية أن يجيد هذه اللغة . ذلك لأن معظم كتب التفسير والفقه وغير ذلك من العلوم الإسلامية مدونة بها .

ثالثاً : لابد أيضاً لمن يريد أن يطلع على ما ألّفه الإيرانيون أنفسهم بالعربية أن يعرف هذه اللغة ، فقد ساهم الإيرانيون مساهمة فعالة ومؤثرة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ، وشاركوا فى تأليف كثير من الكتب الأدبية والعلمية والفلسفية ، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر محمد بن جرير الطبرى ، ومحمد الغزالى ، والإمام فخر الرازى ، وشهاب الدين السهروردى ، وابن قتيبة الدينورى ، وحمزة الأصفهانى ، ومحمد ابن زكريا الرازى ، وابن سينا ، وأبا الريحان البيرونى ، وابن المقفع ، وسيبويه النحوى ، وأبا الفرج الأصفهانى ، والصاحب بن عباد ، وغيرهم . ولا يمكن التعرف على هذا التراث المؤلف بالعربية إلا بتعلم تلك اللغة وإجادتها .

رابعاً : أن يفهم الإيرانى لغته الفارسية فهماً أفضل ، فقد رأينا أن

الفارسية استعارت كثيراً من المفردات العربية ، وما زالت بعض هذه المفردات خاضعة لشكل الكتابة العربى ، وأيضاً للقواعد العربية ، ولا يمكن فهم هذه المسائل إلا بدراسة العربية ، ومعرفة نحوها وصرفها .

خامساً : إن القارئ الإيرانى كثيراً ما يصادف فى أثناء قراءته لبعض المؤلفات الفارسية سواء القديمة أو الحديثة استشهادات من القرآن الكريم أو من الأحاديث الشريفة أو من الأمثال والأشعار العربية ، ولابد لفهم تلك الاستشهادات أن يكون القارئ مجيداً للعربية أيضاً .

وأما من ناحية دراسة العرب للفارسية فى عصرنا الحاضر فإن ذلك يرجع إلى كثير من الأسباب أهمها :

أولاً : إن العلاقة المتينة التى قامت بين اللغتين منذ أقدم العصور وحتى الآن ، وما حدث بينهما من تأثير وتأثر ، تجعل من الضرورى علينا كمهتمين بالثقافة الإسلامية وباللغة العربية أن نهتم بدراسة هذه اللغة التى تأثرت بلغتنا وأثرت فيها ؛ فلابد لنا من معرفة مدى ذلك التأثير الفارسى فى لغتنا ومحاولة الكشف عنه ورده إلى أصوله ، فكثيراً ما نرى بعض المحققين والدارسين لكتب الأدب العربى والتاريخ الإسلامى يعجزون عن تفسير كثير من الألفاظ الفارسية التى ترد فى ثنايا تلك الكتب ، وذلك لعدم درايتهم بهذه اللغة وأصولها .

ثانياً : هناك مسألة أخرى تحتم علينا دراسة هذه اللغة وآدابها ، ألا وهى تأثر الأدب العربى فى بعض عصوره ومراحل تطوره باللغة

الفارسية وآدابها وبالأفكار التى طرقها شعراء الفرس وكتّابهم . ومن منا يستطيع دراسة الأدب العربى فى العصر العباسى وما حدث له من تطور دون النظر إلى المؤثرات الفارسية فيه ؟

ثالثاً : إن كثيراً من الدراسات التاريخية ، وخاصة تلك التى تتناول تاريخ إيران الإسلامية وتاريخ الدويلات الفارسية ، وتاريخ المغول الذين حكموا إيران وما حولها ، كلها مدونة بالفارسية ، وقد دونها من عاصروها فى أغلب الأحيان . ولا يستطيع باحث أو دارس مدقق لتلك العصور التاريخية المختلفة أن يعتمد على ما جاء فى المصادر العربية أو المصادر الأوربية فحسب ، بل لابد أن يرجع أساساً إلى المصادر الرئيسية المكتوبة بالفارسية ويستقى منها معلوماته .

رابعاً : إن الدراسات المقارنة للآداب الإسلامية بعامة ، والآداب العربية والفارسية بخاصة ، لتحتاج إلى دراسة متعمقة لتلك اللغة وآدابها حتى يتمكن الدارس من تقديم دراسات مقارنة مفيدة . فمن يستطيع دراسة قصة ليلى والمجنون دراسة مقارنة دون إجادة اللغة الفارسية والاطلاع على المنظومات التى نظمت حول هذه القصة ؟ ومن يستطيع أن يدرس قصة يوسف وزليخا دراسة مقارنة دون الرجوع إلى المنظومات الفارسية حول هذا الموضوع ؟ ويتعرف على كل منظومة على حدة ويعرف ما تتميز به عن غيرها من المنظومات .

خامساً : إن هناك كثيراً من المؤلفات والدراسات القديمة التى كتبها

علماء الفرس فى العلوم والمعارف المختلفة ؟ فهناك مؤلفات فى العلوم الدينية الإسلامية ، وأخرى فى الفلسفة والتصوف ، وثالثة فى الأدب والتاريخ والعلوم ، كل هذه الدراسات والمصادر القيمة فى مجالات العلم المختلفة والتى ساهم بها الإيرانيون القدماء فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ، لا يمكن الاطلاع عليها إلا فى لغتها المؤلفة بها وهى الفارسية ، أو لابد أن يتوفر عليها بعض المتخصصين فى هذه اللغة حتى ينقلوها إلى العربية . ولابد لمن يقوم بهذه المهمة أن يكون دارساً للغة الفارسية متعمقاً فيها حتى يتسنى له تأدية هذا العمل على أكمل وجه .

سادساً : يضاف إلى هذا كله أن الفارسية لغة حية معاصرة ، وتقوم الآن علاقات وطيدة بين إيران والبلاد العربية ، تزداد أواصرها متانة يوماً بعد يوم ، ومن هنا يساعد تعلم الفارسية بطبيعة الحال على دوام الصلات وتطور العلاقات الأخوية بين الشعبين العربى والإيرانى على مدى الأيام . كما يتاح لدارس الفارسية أن يتعرف عن كثب على الشعب الإيرانى وحضارته وفكره فى الماضى والحاضر .

مصادر البحث

(ا) مصادر باللغة العربية :

(١) أسس علم اللغة – تأليف ماريوباى – ترجمة الدكتور أحمد مختار على طرابلس ١٩٧٣ م .

(٢) اللغة – ج – . فندريس – تعريب دكتور عبد الحميد الدواخلى القاهرة ١٩٥٠ م .

(٣) دلالة الألفاظ – دكتور إبراهيم أنيس – الطبعة الثالثة – القاهرة ١٩٧٦ .

(٤) علم اللغة – دكتور على عبد الواحد وافى – الطبعة السادسة القاهرة ١٩٦٧ .

(ب) مصادر باللغة الفارسية :

(١) تاريخ زبان فارسى – دكتر برويز ناتل خانلرى – جلد أول – جاب سوم ١٣٥٠ ش .

(٢) تاريخى أززبان تازى درميان إيرانيان بس ازإسلام – قاسم تويسر كانى – تهران ١٣٥٠ ش .

(٣)دستور جامع زبان فارسی – تأليف عبد الرحيم همايو نفرخ – جاب دوم تهران ١٣٣٩ .

(٤)زبان شناسی وزبان فارسی – دكتر برويزناتل خانلرى – تهران ١٣٤٣ .

(٥)عربى درفارسی – تأليف دكتر خسرو فرشيد ورد – جاب دوم – تهران ١٣٤٨ هـ . ش .

(٦)فرهنگ واژه هاى فارسی درزبان عربى – گرد آورنده : س محمد على امام شوشترى – تهران – تيرمان ١٣٤٧ .

(جـ) مصادر باللغة الإنجليزية :

1 — Browne. Edward. G.
A Literary History of Persia from the earliest times Until Firdawsi. Vol. I. Cambridge 1951.

2 — Daudpata. Umar. M.
The Influence of Arabic poetry on the Development of Persian Poetry. Bombay 1934.

3 — Rypka. Jan.
History of Iranian Literature.
Dordracht-Holland 1967.

الفهارس

الصفحة

الكتاب القادم

حضارتنا وحضارتهم

د. عبد المنعم النمر

رقم الإيداع	١٩٧٧/٤٩٧١
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٠ - ٢

١٣٦/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)